المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي

«بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي»

الأستاذ الدكتور

خليل أحمد عمايرة

أستاذ علم اللغة والنحو العربي سابقاً في:

جامعة اليرموك - الأردن

جامعة الملك عبدالعزيز - السعودية

جامعة الإمارات العربية المتحدة

مستشار في البنك الاسلامي للتنمية

وائل

المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي

(بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي)

تأليف

الأستاذ الدكتور خليل أحمد عمايره

أستاذ علم اللغة والنحو العربي سابقاً في:

جامعة اليرموك - الأردن

جامعة الملك عبد العزيز - السعودية

جامعة الامارات العربية المتحدة

مستشار في البنك الاسلامي للتنمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٤

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٠٣/٨/١٦٧٨)
٤١٥
عمايرة ، خليل أحمد
المسـافة بيـن التنظـير النحوي والتطبيق اللغوي: بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي/ خليل أحمد عمايرة . عمان: دار وائل، ٢٠٠٣.
(٥٥١) ص
ر.إ. : ٢٠٠٣/٨/١٦٧٨
الواصفات: اللغة العربية / قواعد اللغة / اللسانيات

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 9957-11-339-9 (ردمك)

* المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي
* الأستاذ الدكتور خليل أحمد عمايرة
* الطبعـة الأولى ٢٠٠٤
* جميع الحقوق محفوظة للناشر

تنفيذ وطباعة البرجي بيروت - لبنان
تلفاكس: ٢٧٢٢٢٥ ٠٠٩٦١١
خليوي: ٣٣٤٦٤٨ ٠٠٩٦١٣

دار وائل للنشر والتوزيع
شارع الجمعية العلمية الملكية - هاتف : ٥٣٣٥٨٣٧-٦-٠٠٩٦٢
فاكس: ٥٣٣١٦٦١-٦-٠٠٩٦٢ - عمان - الأردن
ص.ب (١٧٤٦ - الجبيهة)
www.darwael.com
E-Mail: Wael@Darwael.Com

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

المحتوى

الرقم	البحث	الصفحة
1.	الاهداء	3
2.	مقدمة	7
3.	القبائل الست والتقعيد النحوي	15
4.	وقفـة مـع نـبر بعـض أوزان الماضي والمضارع (دراسة وصفية)	39
5.	دعوة إلى قراءة جديدة للنحو العربي (وقفة مع الاسناد)	71
6.	رأي فـي بعض أنماط التركيب الجملي في اللغة العربية على ضوء علم اللغة المعاصر	103
7.	رأي في بناء الجملة الاسمية وقضاياها (دراسة وصفية)	135
8.	المعـنى في ظاهرة تعدد وجوه الاعراب (في نماذج من سورة البقرة)	181
9.	اعراب المعنى ومعنى الاعراب في نماذج من القرآن الكريم...	217
10.	النظرية التوليدية التحويلية وأصولها في النحو العربي........	247
11.	حلقة الوصل بين الألسنية الحديثة والنحو العربي	267
12.	البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي	289
13.	اللغة بين الانسان والفكر	311
14.	من نحو الجملة الى الترابط النصي	337
15.	في تحليل لغة الشعر	369

الرقم	البحث	الصفحة
16.	وقفة مع صلوات في هيكل الحب – للشابي	439
17.	التطور اللغوي المعاصر بين التقعيد والاستعمال	495
18.	الاعداد الثقافي لمعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها	535

حلقة الوصل بين الألسنية الحديثة
والنحو العربي

حلقة الوصل بين الألسنية الحديثة والنحو العربي*

وحـد اللغـة مجموعة من الأصوات التي تآلفت تآلفا اعتباطيا عشوائيا، فكونت مجموعـة مـن المبانـي الصـرفية التي أصبحت الدوال لمدلولات تستدعيها، وتقتضي صـورتها اقتضـاء اجتماعـيا عرفيا، بعد أن كانت مع مدلولها – كسابقتها– في علاقة اعتباطـية عشـوائية، فالكلمـات: رجـل وفرس وحائط (وهي أمثلة تعريف الاسم عند سيبويه) تستدعي كل واحدة منها صورة معينة طبقا لموروث دلالي اجتماعي، أخذ بُعدا عرفيا قسريا، يعاقب من يخرج عليه، بالإعراض عنه وعدم إجابته، أو بنقده ومهاجمته، ثـم تسـتخدم المبانـي الصـرفية فـي تراكيـب لغوية، يؤدي كل تركيب معنى معينا، يحمـل فـي مجملـه فكـرة المـتكلم عـن العلاقة الذهنية بين صور جزئيات التركيب، أو يطلـب مـن السـامع توضـيحا لهذه العلاقة، أو يكلفه مشاركة القيام بها أو بشيء منها.

تنـتظم المبانـي الصرفية في التركيب اللغوي في لغة ما، طبقا لكيفية اجتماعية وقوانيـن، وصـفية فـي بدايتها، معيارية في نهايتها، عشوائية في نشأتها على ألسنة المتحدثيـن بتلك اللغة، مرنة الاستعمال في توالي العصور، متأثرة بما يكون المجموعة التـي تـتحدث بها من عوامل التأثير والتأثر، تراكيبها قابلة للزيادة أو الحذف أو إعادة ترتيـب مبانـيها، ليتمكن المتكلم من نقل إحساسه الحقيقي بالعلاقة الذهنية بين الصور التـي يتألف منها التركيب (بكلمات منطوقة أو مكتوبة)، فتجسد العلاقة الذهنية، وتكون دليلا يقود إليها، أي إلى ما يسمى بالمعنى الدلالي.

---

* الأصل محاضرة أُلقيت في 1407/8/7هـ ، 1987/4/5م، النادي الأدبي في مدينة جدة، المجلد السابع، 1409/1/15هـ، 1988/8/27م.

علـــى الـــرغم مـــن أن مصطلح (المعنى الدلالي) من أكثر المصطلحات غموضا واتساعا في الدراسات اللغوية والأدبية والنقدية، مع كثرة استعماله كثرة تكاد تزيد على اســـتعمال أي مصطلح آخر فيها، إلا أننا سنحاول هنا أن نجعله المحور الرئيس لحديثنا عـــن بؤرة محاولات المدارس اللغوية المعاصرة في تحليل النصوص، وكذلك نجعله في حديثـــنا عن المنهج الذي سار عليه نحاة العربية القدماء، ونجعل له كذلك الموقع نفسه في محاولة الربط بين ما وصل إليه السلف الصالح من نحاة العربية ومعطيات الدراسات اللغوية الحديثة.

إنّ حصر المدارس التي تحدثت عنه، واختطت كلٌ لنفسها منهجها الذي ترتضيه وتباهـــي غـــيرها بـــه، بل تعلن بأنها الأكمل في تحليل المنطوقة اللغوية في النصوص، والوصول إلى المعنى الدلالي، إن حصر هذه المدارس والحديث عن مناهجها يحتاج إلى جهـــود مجموعـــات من الباحثين، فضلا عن أن نتحدث عنه في صفحات قليلة محدودة، ولكنـــنا ســـنعمل على عرض سريع لأهم ما جاءت به أهم هذه المدارس، لنرى أين تقع دراساتنا اللغوية في هذه السلسلة المتصلة من المعرفة الإنسانية التي أخذت المخترعات الحديثة، وما توصل إليه الإنسان من وسائل الاتصال تلح، بل تحتم الاطلاع عليها؛ لأخذ السمين منها وترك الغث.

يرى كثير من الباحثين المعاصرين أن رأس الدرس اللغوي المعاصر في الغرب، هـــو العـــالم السويسريّ دي سوسير (1857– 1913م)، بعد أن نشر كتابه (محاضرات فـــي علـــم اللغة العام) بعد وفاته بثلاث سنوات، فترك هذا العالم بما جـــاء في كتابه من أفكـــار أثـــره فـــي العلمـــاء الذين جاءوا من بعده إلى يومنا هذا، يوجه كل منهم عبارة سوســـير زاعما أنه أدق من غيره وأقرب إلى فهم كنه ما أراده الرائد. ولعل من المفيد أن نكتفـــي مـــن اللغويـــن الذين تأثروا بدي سوسير بأصحاب المدارس التي بحثت في المعـــنى مكونة مدارس نحوية، أو أن معالم المدرسة النحوية ماثلة في ما يذهبون إليه. ونرى أن من المفيد حقا أن نذكر عددا من أهم النقاط التي جاءت في محاضرات سوسير مما بنى عليه العلماء من بعده.

فرق سوسير بين الكلام واللغة، فاللغة هي مخزون جمعي من اتفاقات التواصل الضرورية لأفراد أمة معينة، مخزون كامن في أذهانهم بالقوة، يستخدمه الفرد الواحد في ما يسمى بالكلام استخداما ناقصا، يعبر به عما في ذهنه، طبقا لملكته وقدرته على استخدام هذه الملكة سيكولوجيا وفيزيولوجيا.

ولعل مما يتصل بهذه النقطة بسبب، أن سوسير يرى -كما يرى غيره- أن اللغة المنطوقة هي الأصل جاءت المكتوبة لتجسده، رموزا له، فنشأ بذلك بند آخر من بنود أفكار سوسير، وهو العلاقة بين الدال والمدلول، المدلول: الذي هو التصور الذهني، والدال: الذي هو الصورة السمعية التي قد تأتي مكتوبة في هيكل لا يزيد على كونه رمزا مجسدا للصورة الصوتية السمعية، والارتباط بين الدال والمدلول ارتباط ذهني سيكولوجي اتحدت أصواته (كما يرى عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز) اتحادا عشوائيا اعتباطيا، ثم ارتبط هو بمدلوله بالرابطة نفسها، حتى إننا لنقول بأن القائل الأول لكلمة (ضرب) لو كان قد قالها (ربض) لما كان في ذلك ضير أو فساد، ولكنها بعد أن تتحد بمدلولها تأخذ بعدا اجتماعيا قسريا، ليس من اليسير أن يتغير.

ومن أبرز النقاط التي قال بها سوسير أيضا، فكرة العمل الأفقي والعمودي للنظام اللغوي في الجملة، ويعتمد على العمل الأفقي في إبراز الترابط بين مركبات الجملة من فعل وفاعل ومفعول، أو من مبتدأ وخبر، في نسق يتسق مع ما عليه قواعد اللغة موضوع الدرس. ويعتمد على العمل العمودي في الكشف عن المعنى بإبراز العناصر التي يمكن أن يتم تبادلها مع كل كلمة من كلمات الجملة تبادلا عموديا، فيعمل الاثنان (الأفقي والعمودي) معا لمساعدة المتكلم في الوصول إلى ما يريد، والسامع لفهم ما يسمع في علاقات استبدالية أو تركيبية.

ولدراسة اللغة في ما يظهر بوضوح عند سوسير منهجان: أحدهما وهو المسمى التزامني، Dynchronic: تتم به دراسة اللغة دراسة وصفية: ما هي عليه، أو ما كانت عليه في فترة محددة من تاريخها، استنادا إلى الملاحظات التي تتم على المبنية أو المنظومة اللغوية في تلك الفترة المحددة. والثاني: وهو المنهج المسمى التزمني

Diachronic، فتتم بها دراسة اللغة من حيث تطورها دراسة مقارنة لهجة بلهجة، أو لغة بلغة، أو لغة أو لهجة في فترة معينة، معها في فترة سابقة عليها أو لاحقة بها. وقد أصبح المنهج الأول (التزامني) هو المنهج الذي يرتضيه أصحاب المدرسة البنيوية، في حين أخذ أصحاب المدرسة التاريخية بالمنهج الثاني.

ذكـــرنا ســـابقا بأننا سنكتفي بعرض سريع لأهم المدارس اللغوية ذات الأثر في الـــدرس النحوي، فنعرض بإيجاز رأي أصحاب النحو البنيوي، ثم رأي أصحاب النظرية التوليدية التحويلية.

المنـهج البنيوي

لـــيس من اليسير حصر المصطلح "البنيوية" والحديث عنها من خلال رجل واحد أو مدرســـة واحـــدة، ولكـــن، من اليسير أن نقول بأن البنيوية قامت كردة فعل للمناهج القديمـــة، وتُعَـــدُّ ثورة على التمسك بها تمسكا لا يميز بين الجيد والرديء، فظهرت هذه الثورة بعد بلومفيلد بوضوح، في المدرستين التاليتين: التوزيعية والوظيفية (وهناك عدد من المدارس ولكنني آثرت أن اكتفي بهاتين المدرستين):

أ- التوزيعية: على الرغم من أن التوزيعية منذ زمن بلومفيلد إلى زمن هاريس قـــد ظهـــر فيه عدد من العلماء البارزين، مثل: بلوك B.block، وهوكيت Hockett، وتراغـــر G.trager، وغـــيرهم، إلا أنّ الفضل في ظهورها مذهبيا ألسنيا له معالمه ، يـــرجع إلى العالم الأمريكي الروسي الأصل ، زيلغ هاريـــــــس (1909) الذي يعد كتابه "مـــناهج فـــي الألســـنية البنائية 1951م" واضع هذه النظرية، مع أنه كان في كتابه هذا يطبق شيئا من أفكار بلومفيلد بمنهج خاص وطريقة رياضية عسيرة التتبع، معتمدا على أفكـــار الرائد الأول دي سوسير في تطبيقه، فيعتمد في نظريته اللغة وليس الكلام ميدانا للدراســـة، فيدرســـها دراســـة تزامنـــية، وليســـت تزمنية، وهذه من أبرز ما أشار إليه سوســـير. ثم يقوم بتقسيم النص إلى مكوناته الصرفية الرئيسية من المورفيمات، ليصل إلى تحديد العلاقات الداخلية بينها؛ أي إلى العلاقات الداخلية بين المباني التي قامت ببناء النص أو المنظومة اللغوية؛ لتحديد توزيع العناصر المكونة لها في سياق التشكل النصي

كـاملا، وهـذه العناصـر تتسـاق في تراكيبها اتسياقا قسريا يخضع لعدد من القوانين Restrictions، التـي تـتم علـى ضوئها عملية التصنيف النحوي في أبواب – وهذا يذكـرنا بعمـل النحاة العرب القدماء تماما في إلحاق كل مكون صرفي في الجملة بباب نحوي.

إن تحلـيل الـنص –فيما يراه أصحاب هذه المدرسة– إلى ما فيه من مستويات تركيبـية: صـوتي وصـرفي وتركيبي جملي، يقضي بأن ينظر إليها من حيث نهاية ما وصلت إليه، أي إلى التركيبي– الدلالي، ليصل المحلل في النهاية إلى القول بأن التركيب (س)، بتوزيع مبانيه، يساوي أو لا يساوي التركيب (ص). وقد دفع هذا الأمر إلى النظر فـي مكونـات الجملة، فهي عندهم: محدد واسم، ترتبط المحددات بالأسماء في التركيب لـتحديد فئـتها أو مكانهـا أو زمانهـا أو صفاتها... الخ، ويقوم بهذه الترابط عدد من الحـروف والأدوات أو ما يسد مسدها، وربما كان المنهج في التحليل اللغوي يبدو بشكل بـارز فـي فـرع مـن فروع التوزيعية وليس فيها كلها، فقد برز في ما يسمى بمنهج "المكونات المباشرة" Immediate Consttuants.

يقـوم المحلل في المنهج التوزيعي برد النص الذي يجمعه – عينة من عدد من المتكلمـين المتجانسـين فـي فـترة محددة زمانا ومكانا– يرده إلى مستوياته الصوتية والصـرفية والتركيبـية، فيجمع المتبادلات المتماثلة شكلا من غير اهتمام كبير بالمعنى، فـي مكـان واحـد، ثـم يقوم بتصنيف القواعد التي تحكم التوزيع الشكلي في الصوت والصـرف والتركيـب، وهـذا يذكرنا بمنهج نحاة العربية في تصنيف أبواب النحو على ضـوء نظـرية العامل: إلى مرفوعات ومنصوبات ومجرورات ومجزومات وتوابع، فإن نظـرة سـريعة إلى باب كان وأخواتها، أو إنّ وأخواتها، أو أفعال المقاربة، أو الحروف العاملـة عمـل لـيس أو عمل إن، أو حروف الجر، ستبين أنّ النحاة العرب القدماء قد اعـتمدوا الشكل في المتبادلات المتماثلة تأثيرا؛ ليجمعوها في باب واحد لا مسوغ لجمع جزئياته لو استثني هذا العنصر.

الوظيفية

ربما كان العالم الدانمركي هلمسليف- صاحب النظرية الكلوسيماتيكية- أولَ مَنْ أبـرز مفهوم الوظيفة والوظيفية إحياء لما جاء في محاضرات دي سوسير، ولكن الذي تصدر لها وجعلها نظرية ذات معالم في التحليل اللغوي هو العالم الفرنسي مارتينيه.

تـتكون الجملـة موضوع التحليل، أو العينة اللغوية من مجموعة من المكونات الصغرى، فمثلا الجملة:

أكرم رئيس النادي ضيوفه مساء يوم الأحد

مكونة من: أكرم + رئيس النادي + ضيوفه + مساء يوم الأحد.

وكل من هذه مكونة من مجموعة من المكونات:

أكرم + (رئيس + ال+ نادي) + (ضيوف + ه) + مساء + يوم + الأحد)

وكـل مـن هذه مكونة أيضا من مجموعة من المكونات الصغرى من الفونيمات والمورفـيمات الملتصـقة لـتكون لكسـيمات أو مونيمات، لكل منها وظيفته في النص موضـوع التحلـيل. وتكـون دراسـة هـذه المكونـات من جانبين: فونتكس (صوتي) وسـينتاكس (تركيبي -جملي)، يتضمنان دراسة الأصوات والمباني الصرفية، ووظائفها فـي الجملة من غير انصراف إلى دراسة المباني الصرفية دراسة معجمية (أي من حيث هـي جـذور معجمية لكلمات تتفرع عنها)، أو دراسة اشتقاق صرفي؛ ذلك لأن مارتينيه يهـتم باللغـة اهـتماما يقـابل وظيفتها الكلية، أي أنها تقوم ببنيتها الكلية بوظيفة نقل المعلومـات بيـن المتكلميـن بها، وليس بجزئياتها: مفردات أو أصوات، ومن هنا فإنَه يـدرس المورفيم في المونيم من حيث وظيفته، كدراسة علامة التأنيث في الاسم المؤنث في اللغة العربية مثلا، أو علامة الجمع في جمع المذكر السالم أو المؤنث السالم، أو في الأفعال الخمسة...الخ.

درس مارتينـيه الجملة تركيبا – وظيفياً، اعتمادا على فهمه دور كل من المسند والمسـند إليه، فالمسند إليه هو صاحب الوظيفة الرئيسة في التركيب الجملي. والعلاقة

بينــه وبين المسند علاقة كلية، وكل ما جاء في الجملة زيادة على ركنيها الرئيسين فهو مـــن قبيــل التوسيع فيها. ولعل في هذا ما يذكرنا بما عند نحاة العربية والبلاغيين من اعتمادهم المسند إليه والمسند أصولا في الجملة، وما زاد على الأصول فيها فضلات أو تتمات. ويذكرنا كذلك بأن النحاة قد اعتمدوا المسند إليه بمثابة بؤرة الجملة.

وهــناك عــالم معاصـــر يقوم بتدريس علم اللغة في جامعة هارفرد S.Kuno يحـــاول أن يوجه أفكار المدرسة الوظيفية إلى وظيفية جديدة، يراها تمثل رأس مدرسة جديدة، تقف في وجه المدرسة التوليدية التحويلية.

بالإضـــافة إلـــى هاتين المدرستين فقد كانت هنا مدارس أخر، وكان هناك أفراد آخرون، يمثل كل منهم –بالمعالم التي وضعها– منهج تحليل لغوي، وكأنه مدرسة قائمة بذاتهـــا، مـــع أنـــه يسير في إطار كبير يسمى البنيوية، فقد كانت هناك حلقة براغ التي أسســـها ماثيســـوس سنة 1926م واستقطب لها تروبتسكوي وورومان جاكبسون، وهما من ألمع لغويي هذا العصر، فاصطبغت الحلقة بصبغة البحث المشترك في عدد من النقاط الرئيســـة في منهج دي سوسير من أبرزها الرمزية اللغوية والأخذ بالمنهج التزامني في التحليل.

هذا بالإضافة إلى الصبغة العلمية الجادة التي أضفياها على دراسة الأصوات من حيــث ما يسمى Phonctics and phonology، وربما كان جاكبسون أبرز عالم حتى يومـــنا هـــذا يلفـــت الانتباه إلى دراسة الأصوات من حيث التنغيم والنبر، بالإضافة إلى علمية دراسة الأصوات الصامتة الصائتة كما هو معروف في الدراسات التقليدية.

وقـــد كانـــت هـــناك مـــدارس أخر في أوربا وأمريكا أبرزها مدرسة فيرث في بريطانـــيا، ومدرســـتا سابير وبلومفيلد في أمريكا. ولا أرى المقام يتسع للحديث عن أي منهما.

المدرسة التوليدية التحويلية

ذكـــرنا ســـابقا أن بلومفيلد قد ترك أثره الواضح في الدراسات اللغوية في هذا العصـــر، وكذلك في اللغويين الذي جاءوا بعده، فكان هاريس من بين أبرز من تأثروا به

فــي جعــل التوزيعية مذهبا له أبعاده في التحليل اللغوي، وقد كانت الصلة بين هاريس وتشومســكي الذي جاء بالنظرية التوليدية التحويلية صلة صداقة حميمة، بعد أن قضى هــذا (تشكومســكي) مــرحلة طلــب العلم على يدي أستاذه هاريس، فتمكن التلميذ من الاطــلاع من قرب على ما نشر وما لم ينشر من أعمال أستاذه وأفكاره، فأدرك الثغرات التــي كانــت فــي التوزيعــية بخاصة وفي البنيوية بعامة، وهو العالم البنيوي إلى سنة 1957م حيــث نشــر كتابه Syntactic Structures الذي يعد النواة الأولى للنظرية التوليدية التحويلية، وبداية الطريق للتحول عن البنيوية.

تقوم نظريته على عدد من الأسس الرئيسة، من أبرزها:

1- الفطــرية اللغويــة، وقد كان تشومسكي متأثرا في هذه النقطة بما كان في فلســفة الفيلســوف العقلي ديكارت، وهمبولت من بعده، ونحن نعلم أن تشومسكي كان معجبا بديكارت وبفلسفته إلى الحد الذي دفعه لوضع كتاب في الفلسفة الديكارتية.

يــرى تشومســكي أنّ الطفــل يولد مزودا بعدد من القوالب الذهنية، يكون فيها الاســتعداد الفطــري لمخــتلف اللغات، فتملأ هذه القوالب من واقع الاكتساب البيئي في الوسط اللغوي الذي يعيش فيه الإنسان.

2+3- الكفايــة والأداء، تمــثل الكفاية المخزون المعرفي في ذهن الإنسان من القواعــد والقوانين اللغوية الكامنة، يكتسبها الفرد في حياته، فتأخذ تنمو معه منذ الفترة الأولى في حياته، فتمكنه من إنتاج الجمل الصحيحة والقواعدية، وتمكنه كذلك من الحكم على ما يسمع بالصحة أو الخطأ طبقا لهذا المخزون.

ويمثل الأداء استعمال الفرد المتكلم هذه القوانين في ما ينطلق به أو يكتبه، أي أنه عملية توظيف هذه القواعد، أو توظيف الكفاية، في استعمال الفرد. وأرجو أن يذكرنا هذا بما جاء في محاضرات سوسير من التفريق بين الكلام واللغة.

4+5- البنــية العميقة والبنية السطحية: تعود البنية العميقة إلى الفكرة الذهنية المجردة في عقل الإنسان، تلك التي يود المتكلم التعبير عنها، وأما البنية السطحية فإنها تجســيد هــذه الفكــرة الذهنية في كلمات منطوقة، يتم بها تحويل الفكرة من مرحلة إلى

مــرحلة، فتــنطق متفقة مع قوانين اللغة وقواعدها من حيث المبنى، وأما المعنى فيبقى متصلاً مع البنية العميقة بصلة، هي صلة الشيء المجسد بأصله المفترض.

6+7- قواعــد الــنحو التولــيدي وقواعــد النحو التحويلي: يبدو أن في هذين المصــطلحين يكمــن جــل الفــرق بين منهج تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية ومناهج المدارس البنيوية السابقة عليه أو المعاصرة له، فهو لا يكتفي بوصف اللغة كما هي، فيعمد إلى ما يمكن أن يسميه بالمعيارية أو التقعيد، ويبحث في طريقه عن عدد من الفرضيات ونقاط التشابه والالتقاء بين اللغات في ما يسمى عنده "بشموليات اللسان" في الأصــوات ومعدوديــتها، وإمكــان إيجاد عدد غير محدود من الجمل منها، وفي المباني الصــرفية الفــنوية: اسم أو فعل أو حرف أو مصدر أو ظرف أو صفة أو...الخ. فتقوم قواعــد النحو التوليدي بوصف مكونات الجمل وصفا تصنيفيا صرفيا (اسم، فعل، ......، مفــرد، مثــنى، ......، مذكر، مؤنث،......الخ) ثم توظيف ذلك للوصول إلى حل ما فيها من لبس، أو لإزالة اللبس القائم فيها من تماثل بعض العبارات في مبانيها واختلافها في المعنى.

أمــا قواعد النحو التحويلي، فإنها تهتم بالعبارة محولة إلى ميدان حسي منطوق أو مكــتوب، مقاســة على قوانين اللغة التي تنطق العبارة بها، فيراعي فيها المتكلم ما يجــب أن يراعيه ليحكم على عبارته بالصحة النحوية. ومن هنا تبرز عنده فكرة الجمل التــي يمكــن أن تكــون صحيحة نحوا ومغلوطة دلالة، إذ لا تطابق بين البنيتين العميقة والســطحية، والمــثل الذي يضربه لذلك يبين عمل الأداء مع البنية السطحية مع قواعد النحو التحويلي، لتمكن المتكلم من إيجاد عدد غير محدود من الجمل من عدد محدود من الصوتيمات والمورفيمات.

8- وأخــيرا يعتمد تشومسكي فكرة الحدس للوصول إلى المعنى الدلالي، وربما كانــت هــذه الــنقطة فــي نظريته من نقاط الضعف التي كانت بتأثير من مدرسة سابير الذهنية. ومن أبرز ما يمكن أن يؤخذ على نظرية تشومسكي هو عدم إحكــام الربط بين البنية العميقة والبنية السطحية، فالبنية العميقة عنده تكون في الذهن فكرة مجردة تبرز

فـــي جملـــة أو في جمل منطوقة لتكون تجسيدا لها، بقطع النظر عن الكيفية التي تظهر علـــيها هذه الفكرة من حيث التقديم والتأخير أو التوسيع أو الحذف...الخ، فمهمة الجملة المنطوقة عنده إبراز الفكرة الذهنية الكامنة.

وكذلـــك الحدس، فإنه يمثل نقطة ضبابية في نظرية تشومسكي. وهي كما ذكرنا تتصـــل بسبب بفكرة الحافز الذهني عند سابير، فليس من سبيل للوصول إليه. ولهذا فقد صـــرف بلومفيلد –صاحب المدرسة الديناميكية السلوكية– النظر عن البحث فيه لعسر الوصول إليه، وليس لعدم أهميته أو لضعف دوره في المنظومـة اللغوية.

قـــبل عرض إمكان الإفادة من هذه المدارس في النحو العربي نجد أن علينا أن نقـــول بـــأن إنـــتاج العقـــل البشـــري ليس حكرا على فئة دون فئة، فليس هناك منتج ومســـتهلك، بل ربما كان في الإحساس بضرورة معاداة كل حديث جديد في أيامنا هذه ما يبعد عنا، بل ما يبعدنا عن أن ندفع عجلة الدرس اللغوي عندنا لتسير بحد التسارع الذي كانـــت عليه عندما أفاد منه الغربيون، ولم يجد أحد منهم ما يعيب أو يضير في الاطلاع على كتاب سيبويه أو معجم الخليل أو كتاب الإنصاف أو غيرها.

ونجـــد لزاما علينا أن نذكر بإيجاز سريع بأن النظرية النحوية التي قامت عليها كتب النحو العربي منذ سيبويه إلى يومنا هذا هي نظرية العامل النحوي، فقسم النحاة في ضـــوئها الكـــلام إلـــى مبنيات ومعربات، ثم قسموا المعربات إلى مرفوعات ومنصوبات ومجـــرورات ومجـــزومات وتوابـــع، واقتضـــى البحث في المبنيات البحث في الإعراب المحلـــي، فوضـــع الـــنحاة القواعـــد لكل باب من الأبواب الفروع في كل من هذه الأطر الكـــبرى، اســـتنادا إلـــى عدد من الشواهد، وما خرج على هذه القواعد، فقد حكم عليه بالشـــذوذ حـــتى لو كان هذا الشاذ كثيرا في لغة العرب، أو كما يقول أبو علي الفارسي، هـــو كثير في كلامهم ولكنه شاذ يحفظ ولا يقاس عليه. ومن هنا نشأ ما يمكن أن يسمى بقســـرية القاعدة النحوية، ونشأ كذلك ما يسمى بمسائل الخلاف في وجهات نظر العلماء عـــند كـــل من البصرة والكوفة. ولا أرى أننا بحاجة في هذا المقام لضرب أمثلة، ويكفي الاطلاع على ما جاء في كتاب الإنصاف للانباري، لنرى أن من النحويين من كان يخرّج

ظاهرة لغوية معينة، يخرّجها غيره تخريجا مناقضا تماما، كاسمية نعم وبئس أو فعليتهما، وكأصل الاشتقاق، وكجملة الحال وارتباطها بقد مثلا، فنشأ ما يسمى مجازا نحو المدرسة البصرية ونحو المدرسة الكوفية، فوجدت كل مدرسة من يتعصب لها وللأخذ بآرائها إلى يومنا هذا. ولكن حظ البصرة كان وافرا، فأخذت به الأجيال، حتى جاء جيل لا يعرف عن منهج الكوفة كثيراً، ويعادي كل ما يخالف ما يعرف، معاداة صارخة بحجة أنه يعادي كل حديث لأنه حديث، أو قل لحداثته، حتى لو كانت هذه الحداثة عائدة إلى الكسائي أو الفراء أو ثعلب.

نرى أن نحاة العرب القدماء –رحمهم الله– قد بحثوا في الحركة الإعرابية بخاصة، وفي مبنى الكلمة والجملة بعامة، وأجادوا في ذلك إجادة ليس من اليسير لغيرهم أن يصل إلى ما يصل إليه دون اعتماد على ثمار جهودهم، ولا أظن كذلك أن أية محاولة لا تعتمد على ما جاء عنهم، يمكن أن تكون ناضجة تصلح للأخذ بها، وستكون –في ما نرى– مبتورة من خط البناء العلمي الذي يعتمد فيه اللاحق على ما وصل إليه السابق، مبتورة تماما كمحاولة الوقوف بأي من العلوم –ومنها النحو وعلوم اللغة– عند القديم بحجة المحافظة على كماله وقدسيته، أو عند الحديث بحجة إطراح القديم لعدم مواءمته مجريات العصر.

نقول هنا بأن نحاة العربية قد انصرفوا إلى البحث في المبنى وتخريج ما يتعلق به، عن المعنى –إلا ما اتفق منه مع المبنى– وانصرف البلاغيون إلى الخط الموازي تماما، إلى أن جاء أحد علماء السلف الصالح –عبد القاهر الجرجاني– فضمّ المبنى إلى المعنى في ما يسمى بالنظم، وما النظم إلا أن تضع كلماتك الموضع الذي يرتضيه علم النحو، كما يقول، فخرج عنده علم متوازن يفخر كل منا بأنه (الجرجاني) قد استطاع أن يمس –على الأقل– ما ينادي به أصحاب المدارس الغربية الحديثة في الألسنية وفي النقد الأدبي. ولا حاجة بي في هذا المقام إلى الربط بين ما يقوله الجرجاني وما يقوله المحدثون من أصحاب المدارس.

سنعمل فـي ما تبقى من هذه الدراسة على وضع تصور نربط فيه بين المبنى والمعنى، والشكل والمضمون، نقترح على ضوئه تصنيفا يساعدنا في دراسة النحو العربي من غير إخلال بالحركة الإعرابية، فهي عندنا جزء أساس من فونيمات المبنى ذات الوظيفة الرئيسة للوصول إلى المعنى، بغيرها تنهار جمل العربية فلا تبين فيها الفاعل من المفعول ولا الحال من الصفة...الخ، فنعتمد على المنهج الوصفي في وصف الجمل وتحليلها، ونعتمد في المنهج الوصفي على النظر إلى المكونات الرئيسة في الجملة، على أنها مبان صرفية تجسد أبوابا نحوية رئيسة في ذهن المتكلم، وأما المكونات الفروع في الجملة فإنها تمثل أبوابا نحوية فرعية جاءت لإضافة معنى معين إلى الجملة الرئيسة، وأن لكل من المكونات الرئيسية موقعا أصيلا في الجملة، يمكن أن يتحول عنه لمعنى في ذهن المتكلم، تماما كما يكون الوصول إلى الغرض الذي يريده المتكلم عن طريق أحد العناصر الرئيسية في الجملة، أو بالتغيير في تنغيمها أو عن طريق الحركة الإعرابية.

ويقتضي المنهج الوصفي، الذي نتبع، أن ننظر إلى الجملة المنطوقة على أنها المادة المحسوسة أو المجسدة لفكرة في الذهن، ولما لم يكن من اليسير وصف الفكرة في الذهن، فإننا نرى أن نصفها من الجملة المنطوقة، بوصف ما يجري في الدوال للتعبير عما يراد أن تكون عليه المدلولات. والدوال والمدلولات تكون في جملة أصل وأخرى فرع، وقد تكون الجملة الأصل جملة فرعية في النموذج اللغوي المراد تحليله. ولنصل إلى دقة في وصف المعنى الدلالي، نرى أن الجملة لها بنية رئيسة نسميها (الجملة التوليدية) ذات البعد الدلالي الأول (القريب)، لها معناها ولها أطرها، فإذا ما جرى عليها تغيير، ويكون التغيير بأحد عناصر التحويل (وسنتحدث عنها بعد قليل)، أو بأكثر من عنصر، وكل تحويل لابد أن يكون له دور في المعنى، فإن كانت الجملة التوليدية ترتبط بالبنية السطحية، أو بالبعد الدلالي الأول، وتخضع لقواعد الأطر الرئيسة في البناء الجملي، فإن الجملة بعد أن يدخلها عنصر من عناصر التحويل، تصبح جملة تحويلية، وترتبط بالمعنى الدلالي الثاني، الذي يود المتكلم أن يصرف بناء الجملة له. وتخضع الجملة حينئذ لقواعد التحويل، وقواعد التحويل هذه يبرز فيها بدرجة رئيسة

وصف الحركة الإعرابية ذات المعنى، والأخرى ذات الاقتضاء، طبقا للقياس اللغوي على ما جاء عن العرب، ولا مجال فيها لحركة المحل أو التقدير.

فالجملـــة، إذا، هـــي الحـــد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت علـــيه، وبدلا من تفصيل القول في اختلافات النحاة في تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية، وفـــي اختلافهم في الفرق بين الجملة والقول والكلام، نرى أن الجملة التي ينطبق عليها التعريف السابق هي جملة توليدية، ونقصد بالتوليدية تلك التي تتكون من عدد محدد من الكلمـــات التـــي جاءت كلماتها تمثل الأبواب النحوية الرئيسة فيها، بغير نقص أو زيادة، وإن كانـــت تحـــتملهما. وتخضع هذه الجملة لقواعد أي من الأطر الرئيسة التالية، وهي التي نسميها قواعد النحو التوليدي:

1- فعل لازم + فاعل.

2- فعل متعد +فاعل + مفعول 3،2،1.

3- فعل +مفعول به ضمير +فاعل.

4- مسند إليه معرفة + مسند نكرة.

5- مسند شبه جملة + مسند إليه نكرة.

6- مسند إليه معرفة + مسند معرفة هو ذاته المسند إليه.

فهـــذه الأطـــر هـــي أطـــر الجملة التي تنطبق على أي منها في مرحلة تكونها الأصلي. وإن بعدها الدلالي هو نقل الخبر من المتكلم إلى السامع أو المخاطب ليس غير، دون توكـــيد أو نفي أو استفهام أو شرط، أو نداء أو تحذير أو فخر أو تعظيم...الخ، فإن قصـــد المتكلم أن ينقل لسامعه أيا من هذه المعاني أو سواها، فإن عليه أن يحول الجملة مـــن هـــذه الإطار إلى إطار آخر مستخدما عنصرا أو أكثر من العناصر التالية: الترتيب الـــزيادة، الحذف، التنغيم، تغيير الحركة الإعرابية. وكل تحويل لابد أن يكون لغرض في المعنى أو أنه يتصل به بسبب.

تـــأخذ الجملة اسمها الثابت في الاسمية أو الفعلية في حال وجودها في مرحلة الجملة التوليدية. "والعبرة بصدر الأصل"، فالجمل:

علي مجتهد

محمد رسول

في البيت رجل

هذا محمد

فهذه جمل اسمية، ولكنها توليدية، ومعناها الإخبار المحايد. أما الجمل:

حضر علي

بلغ محمد رسالة ربه

أكرمني النادي الأدبي

فجمـــل توليدية فعلية، توليدية لأنها مكونة من حدها الأدنى في إطار من الأطر السابقة، فعلية لأن صدرها فعل. أما الجمل:

كان علي مجتهدا

إن عليا مجتهد

ليس علي مجتهدا، بمجتهد

فجمـــل اســمية من حيث صدر الأصل، تحويلية جاءت فيها عناصر زيادة، وكل زيـــادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى، فجاءت الزيادة في الأولى للإشارة إلى الزمن الماضي، وفي الثانية للتوكيد، وفي الثالثة للنفي وتوكيد الخبر المنفي.

وهـــذا ما يجب أن يفهمه السامع، قصده المتكلم أم خرج عليه لجهله بأساليـــب العربية. فالكلمات تخرج في تركيب جملي، معبرة عما في ذهن المتكلم، ومطابقة له، (أو هكذا يفترض أن تكون)، يقول الجرجاني: "لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن

تعــرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني، وتعمل الفكر هناك" (الدلائل:93).

ولــيكون تحليل الجملة تحليلا تاما، يوصل إلى المعنى الدلالي، لابد من أن تتحد مســتويات التحلــيل اللغــوي اتحادا تاما، في نظرة تحليلية متكاملة. فالمستوى الأول – التحلــيل الصــوتي Phonetics and phonology تحــدد فــيه الفونــيمات المكونة للمورفيمات في الجملة، وفونيمات الصوامت والصوائت؛ ليتم في المستوى الثاني تحديد المبــنى الصــرفي بما فيه لكسيمات ومورفيمات ومونيمات، فيتحدد بذلك القسم الصرفي الذي ينتمي له المبنى: اسم، فعل، اسم فاعل، اسم مفعول... مفرد، مثنى، جمع، سالم أو تكســير، مؤنــث، مذكــر..الخ، ثم يأتي دور المستوى التركيبي، وفيه يتم تحديد حاجة الكلمة الأولى إلى ما يليها من كلمات انطلاقا من أن بؤرة الجملة الفعلية (الفعل)، وبؤرة الجملــة الاسمية (المبتدأ). وبناء على ذلك فإن الحركة الإعرابية تحدد على كل كلمة في الجملــة من واقع الباب النحوي الذي هي ممثل صرفي له، فهي تجسيد محسوس لقالب ذهني أو لباب ذهني مجرد.

واعــتمادا على هذا فإننا نرى أن نجمع أطر التراكيب الجملية المحولة في عدد مــن الأبــواب الكــبرى (أبــواب المعنى) على أساس المعنى وليس على أساس العمل والعــامل، فــتخرج بذلك جمل النفي في باب، وجمل التوكيد في باب، وجمل الشرط في بــاب، وجمــل الاستفهام في باب... وهكذا في بقية الأبواب. وبذا، فإننا لا نجد بابا من أبــواب المعنى موزعا في عدد كبير من الأبواب، إذ نجد في كتب النحو مثلا، ليس التي تفيد النفي، في باب كان ومازال وظل وأمسى وصار، ونجد ما، في باب ما يلحق بليس، ونجــد لا، تارة في ما يلحق بإنّ وأخرى بما يلحق بليس. ولن في باب ناصب المضارع مــع أن وإذن وكــي... وغيرها. وما النافية في منطقة مهملة لأنها لا تترك أثرا إعرابيا على ما يليها.

فنســتطيع بذلــك أن نفيد من التراث النحوي ومن التراث البلاغي، ومن نتائج جهود علماء الألسنية الحديثة في ضم المضمون إلى الشكل والمعنى إلى المبنى، ليسيرا

فـــي خطيـــن متوازيين يوصلا ن إلى نتيجة واحدة، كما نوضحه في الرسم التالي. وبذا فإنـــنا نمكـــن كـــلا مـــن الطالب والمعلم من أن يحذو حذو العرب في كلامهم، وأن يفهم السامع ما تنطوي عليه أساليبهم وتعبير لسانهم.

أفكار في ذهن المتكلم ——— منطقة خارجة عن ميدان البحث اللغوي	←	تتحول إلى رموز دوال (كلمات منطوقة)	←	تنتظم في جمل طبقا للقواعد النحوية واللغوية العربية	وهذه = تساوي

- النحو	وهذا - يساوي	قوانين النحو وقواعد اللغة	وهذه ⊂ تتضمن

عناصر تحقيق سلامة المبنى	⊂ تتضمن	الحركة الإعرابية + القياس اللغوي	المعنى الدلالي
عناصر تحقيق المعنى	⊂	الترتيب + الزيادة + الحركة الإعرابية + الحذف + التنغيم	

فنصـــرف بذلك النحو عن التعريف الذي يرتضيه له جل النحاة، بأنه العلم الذي يبحث في حركات أواخر الكلمات، إلى البحث في المعنى المحدد للجملة من خلال المباني الصـــرفية فيها. فالبحث النحوي على ضوء التعريف السابق يحصر الحديث عن المرحلة الأولـــى من مراحل تكوين الجملة، أي عن المرحلة الذهنية، ويصرفه عنها؛ لأن الإنسان – فـــي مـــا نرى– يفكر بمجموعة من الأبواب النحوية يستوي في ذلك العربي وغيره، الأمـــي والمتعلم، ثم يجسد هذه الأبواب التي هي ذهنية مجردة بمبان صرفية تؤدي ثلاثة أدوار: تمثـــيل صرفي للباب النحوي، تمثيل معجمي لمعنى الوضع، تمثيل سياقي. تلتحم هـــذه الأدوار الـــثلاثة فـــتأخذ الحركة الإعرابية دور المنسق بين التمثيل الصرفي للباب الـــنحوي، والتمثـــيل الســـياقي لتوصل إلى المعنى الدلالي للباب اللغوي الذي تنتمي إليه الجملـــة. وبذا لا نقف بالنحو عند مرحلة التفكير الذهني المجرد الذي انقلب إلى رياضة عقلـــية، لـــيس بالضرورة أن يكون من يعرفها قادرا على الكتابة الصحيحة، فضلا على النطق الصحيح.

قلنا: لا نقف بالنحو عند مرحلة التفكير الذهني، ونضيف هنا فنقول: ونمر بهذه المـــرحلة فـــي ربط التمثيل الصرفي بالتمثيل السياقي، ونخرج بتكامل بين جهود العلماء مـــن السلف الصالح وما يحتاجه المتعلم والمعلم في هذا العصر المتجدد في حاجاته لما يقرب أبناءه من لغتهم السليمة.

والله نسأل السداد في القول والعمل، وأن يجعل قولنا وعملنا زلفى تقربنا إليه.

هذا عرض للأطر الرئيسة التي يمكن على ضوئها أن يصنَّف النحو على أساس المعنى موضوعاً في مبنى سليم. فإن كنت أصبت فذاك فضل الله وإن كنت على غير ذلك فأرجو أن يتكرم علي كل من يرى نقطة تحتاج إلى إصلاح بما يراه، فجهودنا متكافئة – إن شاء الله– لنحقق قول رب العزة (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصادر التي اعتمدت عليها المحاضرة

1- Rorthbart, Harold, Cybernetic Creativity, New York: Robert Speller & Sons, 1972.

2- Mitroff, Ian & Ralph H. Kilmann, Methodological Approaches to Social Sciences, San Franscisco: Jossey – Bass, 1975.

3- International Encyclopedia of the Social sciences, article: Creativity, New York: Mac;ilian & Freepress, 1968: Vol (3). Pp. 434-461.

4- Rank, Otto, Art and Artist: Creative Urge & Personality Development, New York: Knopf, 1932.

5- Liam Hadson, Contrary Imaginations, New York: Schocken Books, 1966.

Austin, J.L. How to do thins with words, Cambridge, Mass, Harvar, Un, Press 1962.

Bloom field L – Language New York 1933.

Boas, F., Race, language and Culture, New York Macc;illan 1940.

Chomsky, N. – Syntatic Structure, Mouton 1957.

- Aspectgs of the theory of syntax, ca;bridge, Mass 1965.
- Studies on se;antics in generative grammar, Mouton 1972.

Cook, W.Q., - On lagmemes and transforms, Georgetown, Uni Press 1964.

- Introduction to Tagmamic Analyies, New York, Holt Rindsart and Winston 1969.

Fillmore, ch. J. A case for case, in universals in ling uisties, Theory 1968.

Gleason, H.A. An introduction to descriptive lingustics Rindsart and Winston, 1955.

Harris, Z.S. Methods in Structural Linguistics Chicago Uni Press 1951.

- Srring analysis of Sentence Structue Mouton 1962.

- **Papers in Structural and transfer motional lingustics 1970.**

Hockett, C.F. A course in Modern Lingistics New York Macc;illan 1958.

Jakobson, R. Rundam autals of language, Mouton 1963.

Katz, J.J. and Fodor J.A. the Structure of Semantic Theory, language XXXIX2, 1963.

- **An integrated theory of linguistic description, Cambridge, Mass 1964.**

Lyons, J. Introduction to theoretical linguistics, Cambridge Uni Press 1968.

Martinet, A. Functional View of language, Oxferd 1962.

Ogeden, C.K. and Richards I.A. the Meaning of meaning 1923.

Spir Languagem an intrudction to the Study of speech, New York 1921.

Ullmann, S Semantics, an introductin to the science of meaning Oxford 1962.

- خليل عمايره: في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة – جدة 1984.

- خليل عمايره: في التحليل اللغوي، منهج وصفي وتطبيقي على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي والاستفهام – دار المنار – الأردن 1986.